Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, Vol. 2, No. 6, Dec. 2016

Published on Web 01/12/2016

المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا، المجلد الثاني ـ العدد السادس، ديسمبر 2016م

القراءات القرآنية المتواترة وأثرها في الدلالة اللغوية

د. إبراهيم أحمد عبد الجليل *

مقدمة البحث:

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب، ولم يجعل له عوجًا، أحمده عدد كل شيء، وملء كل شيء، حمدًا لا ينقضي أبدًا، والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان.

أما بعد، فإن القراءات القرآنية ميراث خالد اختصت به أمة الإسلام من بين سائر الأمم، فعلم القراءات علم جليل له من الرواية ذروة سنامها، ومن الدراية صافي دررها، وإحكام مبانيها والتبحر في مقاصدها والغوص في معانيها بحر لا ساحل له، وغور لا قاع له وفي هذا البحث سأتحدث عن بعض الدلالات اللغوية للقراءات القرآنية المتواترة، فقد لفت نظري وجود اختلافات كثيرة بينها في اللفظ والمعنى، وانقسمت إلى اختلافات صرفية و نحوية، وبلاغية، مع التأكيد على أن هذه الاختلافات، ليس فيها تناقض، أو تعارض، بل هو اختلاف تنوع وتغاير، مما يزيد تنور في الفهم، ووضوح في المعنى، وعُدَّ ذلك من إعجاز القرآن الكريم ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 82]

فالخلافات بين القراء في قراءاتهم لنص الآية الكريمة، يظهر لنا مظهرا من مظاهر اختلاف اللهجات العربية في التراكيب النحوية والصيغ الصرفية، والأوجه البلاغية، والقرآن الكريم نزل بلغة قريش على الأرجح من أقوال العلماء، ولكن هذا لا يعني أنه أغفل غيرها من لهجات العرب، فاللهجة القرشية اشتملت على كثير من محاسن اللهجات العربية الأخرى، وبهذا لا تصبح لهجة القرشيين غريبة على ألسنة

* قسم اللغة العربية – كلية الآداب – جامعة مصراتة.

التميميين والطائيين وغيرهم من القبائل الأخرى، ومن ثم نزل القرآن الكريم بها ليكون معجزا للعرب جميعا، وعلى الرغم من أن اللهجة القرشية مفهومة للجميع فقد جاء التيسير بنزول القراءات؛ لأن فهم الآية الكريمة شيء، والنطق بها شيء آخر.

سأتناول في هذه الدراسة نماذج من هذه الاختلافات الصرفية منها والنحوية والبلاغية ومدى تأثيرها في اختلاف المعنى من قراءة لأخرى، وبذلك تكون المحاور التي سيدور الحديث عنها ثلاثة محاور.

أ- الدلالة اللغوية للقراءات القرآنية على المستوى الصرفي

ب- الدلالة اللغوية للقراءات القرآنية على المستوى النحوي

ج– الدلالة اللغوية للقراءات القرآنية على المستوى البلاغي

وختاماً فما كان في هذا العمل من صواب فمن الله والمنقولات، ومن خطأ فمن نفسي التي لا أدعي لها العصمة من الوقوع في كثير الزلات، وعلى الله وحدَهُ أعتمد في كل الحالات، وأملي فيمن نظر إلى عملي هذا بأن يسحب ذيل الستر والصفح عن الهفوات، إذِ الكمالُ لا يكون إلا لفاطرِ الأرض والسموات.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمدٍ صاحبِ المعجزات الباهرات، وعلى آله وصحبه أولي الفضل والكرامات.

أولا: الظواهر الصرفية في الأسماء:

المطلب الأول : إفراد الاسم وجمعه:

قوله سبحانه: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ [ص: 45]

اختلف القراء في كلمة ﴿عبادنا﴾ بين الإفراد والجمع، فقرأ المكي وحده بفتح العين، وإسكان الباء، على الإفراد وحذف ألف المد﴿عبدنا﴾ والباقون بالجمع [(1)].

وهذا الاختلاف نتج عنه معاني متغايرة، حيث دلت قراءة ابن كثير على مزيد الإجلال والتعظيم لنبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام، الذي خص بالإفراد، وجاء من

بعده إسحاق ويعقوب، بدلا منه، وعطف على البدل ما بعده.

وأما قراءة الجمهور، فقد جمعت الأنبياء الثلاثة دون تخصيص، على البدلية.

قال ابن خالويه:" فالحجة لمن جمع أنه أتى بالكلام على ما أوجب له من تفصيل الجمع بعده، والحجة لمن وحد أنه اجتزأ بلفظ الواحد من الجمع لدلالة ما يأتي عليه" [2].

فقراءة الجمع بينت أن الأنبياء الثلاثة لهم شأن عظيم، وقراءة الإفراد أعطت خصوصية لإبراهيم عليه السلام، دون أن تلغي ذلك، وجعلت من بعده من أبنائه وذريته تبعا له، فهو من قبيل إفراد الخاص من بين العموم؛ تنبيها على شرفه ومكانته، فهو أبو الأنبياء، وشيخ الحنفاء.

المطلب الثاني : التنوع بين اسم الفاعل والصفة المشبهة ...

قوله تعالى: ﴿ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ [محمد: 15]

اختلف القراء العشرة في ﴿غير آسن﴾ فقرأ ابن كثير بغير مد بعد الهمزة، وصورتها :﴿ أَ سِن ﴾ وقرأ الباقون بالمد﴿ ءاسِن﴾. [3]

فقراءة القصر هي صفة مشبهة باسم الفاعل، مأخوذة من قولهم أسن الماء يأسن، فهو أسن، كما تقول: حذر يحذر فهو حذر، وهرم يهرم فهو هرم، والهمزة فيهما معا همزة أصل

وقراءة المد اسم فاعل، مأخوذة من قولهم أسن الماء يأسن، فهو آسن كما تقول: خرج يخرج فهو خارج.

فكل قراءة أتت بمعنى يختلف عن أختها، ذلك أن قراءة القصر أفادت عدم تغير الماء في حال جريانه، وأما قراءة المد، فهي عدم تغير الماء على كثر مكثه، قاله مكي في كشفه [4].

المطلب الثالث: التنوع بين جمع القلة وجمع الكثرة .

قوله سبحانه﴿ وَقَالَ لِفِتْيَتِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ ﴾ [يوسف: 62]

اختلف القراء في﴿لفتيته﴾ فحفص وحمزة والكسائي وخلف بألف بعد الياء ونون مكسورة بعدها﴿ لفتيانه﴾، جمع كثرة لفتى، وقرأ الباقون وهم: ابن كثير ونافع وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب وشعبة، قرؤوا بغير ألف وبتاء مثناة بعد الياء جمع قلة له (5) .

فقراءة ﴿لفتيانه ﴾ هي جمع تكسير للكثرة؛ لأن وزن فعلان من جموع الكثرة، نحو: غلمان وصبيان والتكثير هنا بالنسبة للمأمورين، بقرينة ﴿ اجعلوا بضاعتهم في رحالهم ﴾فكما أن الرحال للعدد الكثير فكذلك المتولون هم كثر أيضًا، وهذا يدل على كثرة الخدم ليوسف عليه السلام، وأما قراءة﴿ لفتيته﴾ فواضح أنه من جموع القلة،(فعلة) وهو ﴿فتية﴾ جمع (فتى) لأن الذين تولوا جعل البضاعة في رحلهم يكفي منهم أقلهم، وحجتهم أيضا قوله تعالى: ﴿ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾ [الكهف: 10]، وقوله سبحانه: ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: 13] وقال: ﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ ﴾ [يوسف: 76]، فأتى بجمع لأقل العدد، وهو الاختيار؛ لأن المعنى عليه؛ ولأن أكثر القراء عليه ، وجمع القلة الذي هو وزن (فعلة) لم يطرد في شيء من الأبنية، بل محفوظ في ستة أوزان منها فعل) نحو : فتى وفتية، والذي حسن جمع فتى جمع قلة على فعلة؛ أنه لما وافق غلمانا في الجمع الكثير، وفقوا بينهما في الجمع القليل (6) .

المطلب الرابع : التنوع بين التخفيف والتشديد...

قوله سبحانه ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ [الحديد: 18]

اختلف القراء في: ﴿المصدقين والمصدقات﴾ فقرأ ابن كثير وأبو بكر بتخفيف الصاد فيهما، وقرأ الباقون بتشديدها منهما (7) .

ولا شك أن لاختلاف القراءتين اختلافا تغايريا في المعنى؛ لأن كل قراءة بمثابة آية مستقلة، فقراءة التخفيف هي اسم فاعل من التصديق بالله، ملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

وقراءة التشديد هي اسم فاعل أيضا إلا أنها من تصدق، والأصل إن المتصدقين والمتصدقات، فأدغمت التاء في الصاد ، وتمثل هذه القراءة تماثل التاء مع الصاد بعد حذف الحركة، فالأصل: مًتَصدقين – مًتْصدقين– مًصَّدقين.

فلما سقطت حركة التاء التقت ساكنة مع الصاد، وهما صوتان متقاربان في المخرج، فحدثت عملية التماثل أو الإدغام .

وبيِّنٌ أن قراءة التشديد أعم في الدلالة من التخفيف، ذلك أن كل من تصدق لله، فهو مؤمن لا شك، فجمعت بين الإيمان والصدقة في أخصر عبارة، وقراءة التخفيف قوية أيضا؛ لأنها جاءت بالتصديق أولا، ثم عطف عليه الإقراض الذي هو نوع من الصدقة، بل هو أفضل منها، كما ورد في أحاديث صحيحة عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم–.

وقد تناول مكي بن أبي طالب القراءتين، ذاكرا أوجه القوة في كليهما. (8)

المطلب الخامس: التغاير بين اسم الفاعل واسم المكان...

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾[الأنعام: 98].

اختلف القراء في﴿فمستقر﴾ فقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وروح ، بكسر القاف وقرأ الباقون بفتحها. (9)

ووجهت قراءة الكسر على أن ﴿فمستقر﴾ اسم فاعل مبتدأ، والخبر محذوف، والتقدير: فمنكم مستقرّ في الرحم، أي: قد صار إليها واستقرّ فيها، ومنكم من هو مستودع في صلب أبيه.

وأما قراءة الفتح فهي اسم مكان مبتدأ، والخبر محذوف أيضا، أي: موضع استقرار وموضع استيداع ، والتقدير: فمنكم من هو قارّ في الأرحام، ومنكم من هو مستودع في صلب أبيه، ويجوز أن يكون مصدراً أي: فلكم مكان تستقرون فيه وهو الصُّلب أو الرحم أو الأرض، أو لكم استقرار فيما تقدم، وينقص أن يكون اسم مفعول لأن فعله قاصر لا يُبنى منه اسم مفعول.

المطلب السادس: الصيغ الاختيارية في الفعل الثلاثي المجرد...

قوله سبحانه: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف: 57]

قراءتان متواترتان في هذه الآية الكريمة، حيث قرأ نافع وابن عامر والكسائي وأبو جعفر وخلف عن نفسه بضم الصاد من﴿يصدون﴾والباقون بكسرها.(10)

وهذا الاختلاف الصرفي، نتج عنه اختلاف في المعنى، فمن قرأ بالكسر، فهو مضارع للفعل صد يصِد، نحو: جلس يجلس، ومعنى الآية على هذه القراءة أنهم يحدثون ضجيجا وصوتا وتشويشا، وقيل: يضحكون من ضرب المثل بعيسى –عليه السلام–.

وقراءة الضم أفادت أنهم يعرضون ويعدلون عما جئتم به.

والكسائي يرى القراءتين بمعنى واحد، يقول:" هما لغتان لا تختلفان في المعنى، والعرب تقول: يصِد عني ويصُد عني مثل: يشِد ويشُد" (11).

والأغلب أن تكون هذه الظاهرة من انتقال اللهجات، أو مما يطلق عليه الصيغ الاختيارية أو البديلة، والمواضع التي ورد فيها مثل هذا الأمر كثيرة، تحدثت عنها كتب التفسير والقراءات، وتحدثت جميعها على أن الكسر لغة في الحجاز، والضم لغيرهم من القبائل لقيس وتميم وأسد وبكر، وقد ذكر بعض المعاصرين أن الضم للبادية، والبادية يناسبها الضم، ولكن الحقيقة أن الحركات موجودة في جميع اللهجات، وإنما اختارت لهجة هذه القبائل الضم في مثل هذه المواضع، واختارت اللهجة الحجازية الكسر فيها،

وفي غيرها اختارت حركات أخرى، ولا نستطيع أن نعلل لماذا اختارت هذه الحركة ولم تختر غيرها البتة.

المطلب السابع: التنوع بين اسم الفاعل واسم المفعول...

قوله سبحانه: ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ [النساء: 19] قرأ نافع، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم، وابن عامر، والكسائي ﴿ مُّبَيّنَةٍ﴾ بكسر الياء، وقرأ ابن كثير وأبو بكر عن عاصم بالفتح (12).

فأما من قرأ بالفتح فله وجهان: الأول: أن الفاحشة والآيات لا فعل لهما في الحقيقة إنما الله تعالى هو الذي بينهما. والثاني: أن الفاحشة تتبين، فإن يشهد عليها أربعة صارت مبينة، وأما الآيات فان الله تعالى بينها، فهي اسم مفعول، والمبين مدعيها.

وأما من قرأ بالكسر فوجهه أن الآيات إذا تبينت وظهرت صارت أسبابا للبيان وإذا صارت أسبابا للبيان جاز إسناد البيان إليها، كما أن الأصنام لما كانت أسبابا للضلال حسن إسناد الإضلال إليها، كقوله تعالى: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مّنَ الناس ﴾ [إبراهيم : 36]، فهي اسم فاعل أي : مبينة صدق مدعيها، وإما من اللازم، يقال: بان الشيء وأبان واستبان وبين وتبين، بمعنى واحد أي : ظهر، ومنه قول بعض المفسرين في قوله سبحانه ﴿بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ أي : ظاهرة.
وقيل ﴿مبيَّنة﴾ بالفتح معناها مكشوفة ومظهرة، و﴿مبيِّنة﴾ هي التي تبين على صاحبها فعلها (13).

كما نجد التنوع بين اسم الفاعل واسم المفعول في قوله سبحانه ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: 24]، فقد اختلف القراء في ﴿المخلصين﴾ فقرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف بفتح اللام اسم مفعول وافقهم الأعمش

ونافع وأبو جعفر، والباقون بالكسر [14].

وباختلاف القراءتين اختلف المعنى، لأن قراءة الكسر هي اسم الفاعل، من أخلص، والمفعولُ محذوف تقديره: المخلِصين أنفسَهم أو دينَهم، ويؤيد هذا قوله سبحانه: ﴿مخلصا له ديني ﴾.

وأما قراءة الفتح فهي اسم مفعول مِنْ أَخْلصهم اللَّه، أي: اجتباهم واختارهم أو أَخْلصهم مِنْ كل سوء، وبذلك صاروا مخلصين من الأسواء والفواحش، ويقوي ذلك قوله سبحانه﴿ إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار﴾ فصاروا مخلصين بإخلاص الله إياهم.

قال مكي: " وفتح اللام أحب إلي لأنهم لم يخلصوا أنفسهم لعبادة الله إلا من بعد ما اختارهم الله، وأخلصهم لذلك، وقد قال تعالى ذكره ﴿ وأخلصوا دينهم لله﴾" [15].

ثانيا/ الدلالة النحوية...

1- قوله سبحانه: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾ [طه: 66]

في هذه الآية الكريمة قراءتان متواترتان، حيث قرأ ابن ذكوان وروح بالتاء على التأنيث ﴿تخيل﴾ وقرأ الباقون بالياء على التذكير﴿ يخيل﴾ [16].

وواضح أن الخلاف بين القراءتين خلاف نحوي، فقراءة ابن ذكوان جاء فيها الفعل ﴿ يخيل﴾ مسندا إلى ضمير يعود على العصي والحبال، وهي مؤنثة، والمصدر المنسبك من ﴿أنها تسعى﴾ بدل اشتمال.

وذهب السمين الحلبي، والزمخشري، ومحيسن، إلى أن من قرأ بالياء في ﴿يخيل﴾ فقد جعل نائب الفاعل ضميرا يعود على العصي والحبال لكونهما مؤنثين غير حقيقيين، والمصدر المنسبك من ﴿أنها تسعى ﴾ بدل اشتمال[17].

وعلى هذا التوجيه تكون هذه القراءة مخالفة لما تقرر من قواعد النحاة، من أن الفاعل ونائبه، إذا كان ضميرا مستترا يعود على مؤنث سواء أكان حقيقيا أم مجازيا

يجب تأنيث الفعل له، وهنا عاد الضمير على مؤنث مجازي، ومع ذلك لم يؤنث الفعل لأجله، وذهب ابن خالويه إلى أن حجة من قرأ بالياء أنه ردّه على السّحر [18].

وأما ابن زنجلة فجعل أحد الاحتمالين أن يكون المصدر المنسبك ﴿أنها تسعى﴾ هو النائب عن الفاعل، والتقدير: يخيل إليه سعيها، حيث يقول: "وقرأ الباقون ﴿يخيل إليه﴾ بالياء والمعنى: يخيل إليه سعيها، ويجوز أن ترده على السحر" [19].

وذهب مكي إلى أن المصدر المنسبك ﴿أنها تسعى﴾ هو النائب عن الفاعل في قراءة من قرأ بالياء في ﴿ يخيل﴾ [20].

وفي ظني أن ما ذهب إليه الزمخشري ومكي والسمين الحلبي والشيخ محيسن، من أن نائب الفاعل ضمير مستتر عائد على الحبال والعصي كلام فيه نظر؛ لأن التخيل لم يكن في الحبال والعصي، فهما حقيقتان بارزتان، مشاهدتان، ملموستان، وإنما التخيل واقع على كونهما ساعيتين، والله أعلم.

2- قوله سبحانه: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ [مريم: 5، 6]

في هذه الآية الكريمة قراءتان متواترتان، فقد قرأ أبو عمرو البصري والكسائي بجزم الفعلين المضارعين﴿ يرثني ويرث ﴾ والباقون بالرفع فيهما [21].

وقد اختلفت الدلالة اللغوية باختلاف القراءتين، فمن جزم الفعلين، فقد جعل الفعل الأول مجزوما في جواب الدعاء وهو قوله سبحانه: ﴿ فهب لي من لدنك وليا ﴾؛ لأن معنى الشرط موجود فيه، وجعل الكلام متصلا بعضه ببعض، وقدر الولي بمعنى الوارث، والتقدير: فهب لي من لدنك وليا وارثا يرثني، وتقوت هذه القراءة بكون﴿وليا﴾ رأس آية مستغن عن أن يكون ما بعده صفة له.

والفعل الثاني﴿ ويرث﴾ تابع للأول معطوفا على﴿ يرثني﴾.

ومن قرأ بالرفع في الفعلين، وهم الباقون من القراء، فقد جعلوا الفعل المضارع

وفاعله المستتر فيه في محل نصب، صفة لكلمة﴿وليا﴾ لأن الجمل بعد النكرات صفات، و لأنه نكرة عاد الجواب عليها بالذكر ودليله قوله تعالى ﴿ {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ [التوبة: 103] ولأن زكرياء عليه السلام سأل ربه وليا وارثا علمه ونبوته، وليس المعنى على الجزاء أي: إن وهبته ورث ذلك؛ لأنه ليس كل ولي يرث، فإذا لم يكن كذلك لم يسهل الجزاء [22].

والصواب أن كلتا القراءتين صواب، وأن المعاني التي أتت منهما تكاد تكون واحدة؛ فزكرياء عليه السلام يجتهد في الدعاء بأن يرزقه الله الولد، لا من أجل شهوة دنيوية، وإنما من أجل مصلحة الدين والخوف من تضييعه وتبديله، والحرص على من يرثه في علمه ونبوته، ويكون مرضياً عنده –عز وجل.

3– قوله سبحانه: ﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ﴾ [الصافات: 94].

اختلف القراء في﴿يزفون﴾ فقرأ حمزة وحده بضم الياء وكسر الزاي، وقرأ الباقون ﴿يزفون﴾ بفتح الياء [23].

قراءة حمزة يكون الفعل المضارع مأخوذا من الفعل أزف، فقد أخبر الله تعالى عنهم أنهم يحملون غيرهم على الإسراع، فالمفعول محذوف، والمعنى: فأقبلوا إليه يحملون غيرهم على الإسراع أي يحمل بعضهم بعضا على الإسراع. والزّفيف: الإسراع في الخطو مع مقاربة المشي [24].

وقراءة الباقين، مأخوذة من الفعل زف يزف، والذي يعني الإسراع في المشي، دون استلزام حث الغير [25].

وذهب ابن خالويه إلى أنهما لغتان بمعنى واحد، وهو الإسراع في المشي [26].

4– قوله سبحانه: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة:284].

اختلف القراء في ﴿ يغفر ويعذب﴾ فقرأ ابن عامر وعاصم وأبو جعفر يعقوب برفع الراء والباء منهما، والباقون بجزمها [27].

فمن رفع الراء من ﴿فيغفر﴾ ورفع الباء من ﴿ويعذب﴾فعلى الاستئناف. والتقدير: فهو يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء.

ومن قرأ ﴿فيغفر، ويعذب﴾ بجزمهما، فهو عطف على قوله تعالى قبل: ﴿يُحاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ الواقع جوابا للشرط فأتبعه ما قبله ولم يقطعه، فحسنت المشاكلة في الكلام [28].

5- قوله سبحانه: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: 115].

اختلف القراء في ﴿ترجعون﴾ فقرأه يعقوب الحضرمي وحمزة والكسائي وخلف العاشر بفتح حرف المضارعة وكسر الجيم، أي: بالبناء للفاعل، والباقون بالبناء لما لم يسم فاعله [29].

فقراءة يعقوب ومن وافقه من الكوفيين، يكون رجوعهم باختيارهم، فقد أضاف الفعل إليهم، ومن بناه لما لم يسم فاعله، فقد جعل الرجوع واقعا عليهم، فالله سبحانه هو الفاعل لبعثهم ونشورهم ورجوعهم إليه سبحانه، ولأنهم لا يرجعون حتى يرجعوا، إذ لا يبعثون أنفسهم من القبور حتى يبعثوا.

ونلحظ الفرق بين القراءتين يتجلى في أن قراءة البناء للفاعل جعلت الأمور مندفعة بذاتها، بينما قراءة البناء لما لم يسم فاعله، جعلت الأمور تساق إلى الله سوقا، وهنا لنا أن نلحظ أن الراغبين في لقاء الله، المستعدين لهذا اليوم العظيم، سيرجعون إلى ربهم بأنفسهم طائعين، لأنهم ذاهبون إلى الخيرات، وإلى جنات النعيم.

وأما أولئك الذين استحبوا الحياة الدنيا وزينتها، وأسرفوا على أنفسهم، ولم يعملوا لهذا اليوم العظيم، فسيرجعون رغم أنوفهم، حيث تأتيهم ملائكة العذاب تجرهم جرا،

يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ، وهكذا من لم يجيء رغبا جيء به رهبا.

كل هذه المعاني العظيمة عبرت عنه حركتان اثنتان، فأي نظم هذا؟ وأي إعجاز أعظم من هذا الإعجاز؟ تغيير حركتين، تشيع في جوانب الآية الكريمة كل هذه المعاني والدلالات والإيحاءات بما تعجز عنه الكلمات، وتقصر عنه الجمل الطوال والعبارات، بلى، إنه تنزيل من فاطر الأرض والسموات.

6ـ قوله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ ﴾ [آل عمران: 161].

اختلف القراء في الفعل المضارع ﴿يغل﴾ فقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم بفتح الياء وضم الغين من غل مبنيا للفاعل، والباقون بضم الياء وفتح الغين مبنيا للمفعول[30].

وهذا الاختلاف النحوي بين القراءتين، نتج عنه تعدد المعاني، فقراءة البناء لما لم يسم فاعله، تحمل معنى المدح والثناء للصحابة الكرام، الذين نفى عنهم الحق سبحانه أن يحصل منهم غلول للرسول صلى الله عليه وسلم، أو أن يخونوه في المغانم.

وقراءة البناء للفاعل، فيها مدح للرسول صلى الله عليه وسلم نفسه، حيث نفى عن ربه حصول الغلول، فلا يجوزُ أن يُتَوَهَّمَ ذلك فيه البتة.

والغُلولُ هو الأَخْذُ في خُفْيَةٍ، أو هو الخيانة في خفاء، وأصله مأخوذ من الغلل، وهو الماء الذي يسري في أصول الشجر، لا يراه أحد[31].

7–قوله سبحانه: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: 100].

جميع القراء على جر﴿ الأنصار﴾ إلا يعقوب الحضرمي فقرأ بالرفع[32].

فقراءة الجمهور تفيد بأن السابقين الأولين من هذين الفريقين، رضي الله عنهم ورضوا عنه.

وأما قراءة يعقوب فقد أفادت معنى آخر، هو أن الأنصار جميعهم مندرجون في اللفظ من دون تخصيص بسابق وغير سابق.

فدخول الأنصار للإسلام كان متقاربا جدا، فلم يكن منهم سابقون ومتأخرون، فقد ذكر بعض المؤرخين أن الإسلام انتشر في المدينة المنورة بشكل متسارع، ففي ليال معدودة كانت بيوتات المدينة ترتفع منها أصوات القرآن الكريم، وهذا فيه رفعة للأنصار ومدح لهم، إذ كلهم من السابقين.

وهذه القراءة قراءة رفع ﴿الأنصار﴾ جعلت تقسيم المخبر عنهم بالرضى والجنة ثلاث طبقات:

1- السابقون الأولون من المهاجرين. 2- الأنصار. 3- الذين اتبعوهم بإحسان.

وأما قراءة الخفض التي هي قراءة الجمهور، فقد قسموا إلى ثلاث أيضا:

1- السابقون الأولون من المهاجرين.
2- السابقون الأولون من الأنصار.
3- الذين اتبعوهم بإحسان.

وقراءة الخفض لم ينفرد بها يعقوب الحضرمي، بل قرأ بها عمر رضي الله عنه، فقد أسند الطبري أن زيد بن ثابت سمعه فرده فبعث عمر في أبي بن كعب فسأله فقال أبي بن كعب:﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ﴾ فقال عمر :ما كنا نرى إلا أنَّا قد رفعنا رفعة لا ينالها معنا أحد، فقال أبي: إن مصداق هذا في كتاب الله في أول سورة الجمعة ﴿ وآخرين منهم لما يلحقوا بهم ﴾ [الآية : 3] وفي سورة الحشر﴿ والذين جاءُو من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ﴾ [الآية : 10] وفي سورة الأنفال في قوله﴿ والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم ﴾ [الآية : 75]فرجع عمر إلى قول أبي[33]. وتروى هذه الحادثة بشكل آخر، وهو أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يرى أن الواوَ

ساقطةٌ من قوله: ﴿ والذين اتبعوهم ﴾ ويقول: إن الموصول صفةٌ لمن قبله، حتى قال له زيد بن ثابت: إنها بالواو فقال : ائتوني بأُبَيّ . فأتَوه به فقال له: تصديق ذلك في كتاب الله في أول الجمعة: ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ ﴾ [الآية : 3]، وأوسط الحشر :﴿ والذين جَآءُوا مِن بَعْدِهِمْ ﴾ [الآية : 10]، وآخر الأنفال: ﴿ والذين آمَنُواْ مِن بَعْدُ وَهَاجَرُواْ ﴾ [الآية : 75]. ورُوِي أنه سمع رجلاً يقرأها بالواو فقال: مَنْ أقرأك؟ قال: أُبَيّ. فدعاه فقال: أَقْرَأنيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وإنك لتبيع القَرَظ بالبقيع. قال: صَدَقْتَ وإن شئت قل: شهدنا وغِبْتم، ونَصَرْنا وخَذَلْتم، وآوَيْنا وطَرَدْتم. ومن ثَمَّ قال عمر: لقد كنتُ أرانا رُفِعْنا رَفْعةً لا يَبْلُغها أحدٌ بعدنا[34].

هذا وقد استشكل قراءة الجر بعض العلماء كالطبري الذي قال :" والقراءة التي لا أستجيز غيرها، الخفضُ في﴿الأنْصَارِ﴾ لإجماع الحجة من القرأة عليه، وأن السابق كان من الفريقين جميعًا، من المهاجرين والأنصار، وإنما قصد الخبر عن السابق من الفريقين، دون الخبر عن الجميع"[35].

ومن قبلُ ذهب الإمام الأخفش إلى استشكالها كذلك فقال: (وقال بعضهم ﴿والأَنْصارُ﴾ رفع عطفه على قوله ﴿والسَّابِقُونَ﴾ والوجه هو الجر لأن السابقين الأولين كانوا من الفريقين جميعا".

8- قوله سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ﴾ [المائدة: 57].

اختلف القراء في ﴿والكفار﴾ فقرأ أبو عمرو البصري وتلميذه يعقوب الحضرمي والكسائي بخفض الراء، وقرأ الباقون بنصبها[36].

قراءة الخفض جاءت على النسق على ﴿الذين أوتوا الكتاب﴾ والمعنى من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الكفار.

وأما قراءة النصب فهي نسق على ﴿ لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزؤا ولعبا﴾ ولا تتخذوا الكفار أولياء.

قال صاحب إعراب القرآن :" ﴿والكفار﴾ معطوف على ﴿الذين أوتوا﴾ [37].

وأما مكي فيقول :" لولا اتفاق الجماعة على النصب لاخترت الخفض لقوته في الإعراب وفي المعنى والتفسير والقرب من المعطوف عليه" [38].

ونقل القرطبي عن النحاس استحسانه قراءة النصب حيث يقول:" والنصب أوضح وأبين " [39].

وباختلاف القراءتين نحويا، اختلفت الدلالة وتغير المعنى أيضا؛ لأن قراءة الخفض أفادت النهي عن اتخاذ المستهزئين أولياءَ، وبيَّنت أن المستهزئين صنفان: أهلُ كتاب متقدم، وهم اليهود والنصارى، وكفارٌ عبدةُ أوثان، وإن كانَ اسمُ الكفر ينطلق على الفريقين، إلا أنه غَلَب على عبدة الأوثان: الكفار، وعلى اليهود والنصارى: أهل الكتاب.

وأما قراءة النصب فليس فيها تعرُّضٌ للإخبار باستهزاءِ المشركين، وإن كانت هذه الصفة ثابتة لهم في مواضع أخرى من كتاب الله.

قال مكي : " وحجة من نصب أنه عطفه على ﴿الذين﴾ الأول في قوله ﴿ لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا ﴾ ﴿ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ﴾ [المائدة: 57]. أي : لا تتخذوا هؤلاء وهؤلاء أولياء، فالموصوف بالهزء واللعب في هذه القراءة هم اليهود لا غير، والمنهي عن اتخاذهم أولياء هم اليهود والمشركون" [40].

ثالثا/الدلالة البلاغية:

1- قوله سبحانه: ﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ (89) قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ

اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (90)﴾ [يوسف: 89، 90].

اختلف القرأة في﴿أإنك لأنت يوسف﴾ فقرأه بهمزة واحدة على الخبر ابن كثير وأبو جعفر، والباقون بهمزتين على الاستفهام[41].

تنوع القراءتين بين الاستفهام والخبر، يدخل ضمن الدلالات البلاغية، فقراءة الهمزة الواحدة تحمل دلالة تختلف عن قراءة الهمزتين عند بعض العلماء؛ لأن المعنى على الخبر أن إخوة يوسف عليه السلام، تعرفوا عليه، وتأكدوا أن هذا الذي أمامهم هو أخوهم يوسف الذي ألقوا به في الجب قبل سنوات، والدليل على تيقنهم أنهم أتوا ﴿إن﴾ومما يقوي هذا الكلام أن في قراءة أبي بن كعب: « أو أنت يوسف ».

ويوجه مكي بن أبي طالب قراءة الإخبار بالقول ﴿وحجة من قرأه على الخبر أنهم لما عرفوا يوسف، وتيقنوا أنه هو، أتوا بـ﴿إن﴾ التي لتأكيد ما بعدها، واستغنوا عن الاستخبار؛ لأنه شيء ثبت عندهم، فلا معنى للاستخبار عنه "[42].

ويتناول جار الله الزمخشري هذه الآية الكريمة، وهذا اللقاء الأخوي، حيث يقول: "فإن قلت: كيف عرفوه؟ قلت: رأوا في روائه وشمائله حين كلمهم بذلك ما شعروا به أنه هو، مع علمهم بأنّ ما خاطبهم به لا يصدر مثله إلا عن حنيف مسلم من سنخ إبراهيم، لا عن بعض أعزاء مصر. وقيل: تبسم عند ذلك فعرفوه بثناياه، وكانت كاللؤلؤ المنظوم. وقيل: ما عرفوه حتى رفع التاج عن رأسه، فنظروا إلى علامة بقرنه كانت ليعقوب وسارة مثلها، تشبه الشامة البيضاء. فإن قلت: قد سألوه عن نفسه فلم أجابهم عنها وعن أخيه؟ عن أن أخاه كان معلوماً لهم. قلت: لأنه كان في ذكر أخيه بيان لما سألوه عنه "[43].

وأما قراءة الاستفهام، فهو استخبار عن أمر لم يعرفوه، لأن لفظ الاستفهام الذي معناه الإلزام والإثبات، ولم يستخبروا عن أمر جهلوه ، بدليل أن يوسف عليه السلام أجابهم ﴿أنا يوسف وهذا أخي﴾ وتأولت فرقة ممن قرأ « إنك » إنها استفهام بإسقاط

حرف الاستفهام، فأجابهم يوسف كاشفاً أمره قال : ﴿ أنا يوسف وهذا أخي ﴾".

قال ابن أبي مريم "ويجوز أن يكون المعنى على الاستفهام، والتقدير: أإنك لأنت يوسف، فحذفت همزة الاستفهام، كما في قوله تعالى ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾[الشعراء: 22] أي : أو تلك نعمة؟ فحذفت همزة الاستفهام"[44] .

ولا تناقض بين القراءتين؛ لأن القرآن الكريم حكى كلام الفريقين، فمنهم من قاله استفهاما، وبعضهم قاله خبرا، ومثل هذا في القرآن الكريم كثير.

وذهب بعض أهل العلم إلى أن الاستفهام هنا ليس على بابه، بل هو استفهام تقريري، وهذا هو المفهوم من كلام مكي حين قال: "أتى بلفظ الاستفهام الذي معناه الإلزام والإثبات، لم يستخبروا عن أمر جهلوه، إنما أتوا بلفظ يحققون به ما صح عندهم من أنه هو يوسف"[45] .

2- قوله سبحانه: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: 108].

اختلف القرأة في﴿والذين اتخذوا﴾ فقرأ المدنيان وابن عامر﴿الذين﴾ بغير واو وكذا هي في مصاحف أهل المدينة والشام، وقرأ الباقون بالواو وكذا هي في مصاحفهم.[46]

فقراءة العطف بالواو، فتدل على اتصال هذه الصفات، والواو حرف عطف، و﴿الذين﴾ معطوف على: ﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ﴾ وهما معطوفان على: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عاهَدَ اللَّهَ﴾ أي : ومنهم من عاهد الله، ومنهم من يلمزك في الصدقات، ومنهم الذين يؤذون النبيّ، ومنهم آخرون مرجون لأمر الله، ومنهم الذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا» لأن هذه كلها صفات للمنافقين.

ولا يبعد أن ينصب الاسم الموصول على الذم، أي: أذم الذين اتخذوا مسجدا ضرارا...

وأما قراءة ترك العطف، أو الفصل، فتعرب ﴿الذين﴾ مبتدأ، وخبره جملة ﴿لا تَقُمْ

فِيهِ أَبَداً﴾ [47].

وذهب ابن خالويه إلى أن ﴿الذين﴾ بدل من قوله ﴿وآخرون ﴾أو من قوله ﴿وممن حولكم﴾ [48].

تناول جار الله الزمخشري القراءتين من الناحية البيانية، وقال:" في مصاحف أهل المدينة والشام: الذين اتخذوا بغير واو؛ لأنها قصة على حيالها. وفي سائرها بالواو على عطف قصة مسجد الضرار الذي أحدثه المنافقون على سائر قصصهم". [49]

وأما ابن عاشور فرأى نكتة الاستئناف هنا هو التنبيه على الاختلاف بين حال المراد بها، وبين حال المراد بالجملة التي قبلها وهم المرجون لأمر الله.

وأما القراءة بالواو، فتكون معطوفة على التي قبلها؛ لأنها مثلها في ذكر فريق آخر مثل من ذكر فيما قبلها. وعلى كلتا القراءتين فالكلام جملة إثر جملة وليس ما بعد الواو عطف مفرد [50].

وجملة القول أن قراءة ترك العطف تبين شناعة أفعال أولئك الأقوام، ولذلك استحقوا أن يفردوا بالبيان، وأن تنشأ لهم جملة خاصة بهم، وما ارتكبوه من ذنب غير مسبوق في تاريخ الإسلام، وهو اتخاذ مسجد لمضارة المؤمنين وتفريق شملهم، وإرصادا لمن حارب الله ورسوله، وهو أبو عامر الراهب، الذي أعلن عداوته لدعوة الإسلام " من قبل " بناء مسجد الضرار.

وأما قراءة العطف فقد عددت جرائمهم وخصالهم القبيحة، وأوضحت أنه إضافة إلى الجرائم السابقة فقد ارتكبوا كذلك جرائم أربعة ذكرت بعد العاطف، وهي مضارة المؤمنين، وتقوية الكفر، وتفريق كلمة أهل الحق وجعله معقلا لالتقاء المحاربين لله ولرسوله.

يقول فضل عباس– رحمه الله– بعد أن تناول القراءتين: "إن حذف الحرف وذكره في كتاب الله تعالى في كل منهما إشارة لمعنى جديد منسجم مع جلال الموقف المتحدث عنه"[51].

3– قوله سبحانه ﴿ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾ [الكهف: 51].

اختلف القرّاء في ﴿وما كنت﴾ من قوله تعالى:﴿ وَما كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً﴾

فقرأ أبو جعفر﴿وما كنت﴾ بفتح التاء، خطابا لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، والمقصود إعلام أمته أنه عليه الصلاة والسلام لم يزل محفوظا من أول حياته لم يعتضد بمضلّ، ولم يتخذه عونا له على نجاح دعوته، والباقون بالضم إخبارا من الله تعالى عن ذاته المقدسة[52].

نلحظ في قراءة أبي جعفر الالتفات من التكلم إلى الخطاب، وأما قراءة الباقين بضم التاء، فقد جرى الكلام فيها على نسق ما قبله في قوله تعالى:﴿ما أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ﴾.

4_ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَوْفى بِما عاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً ﴾ [سورة الفتح آية 10].

في هذه الآية الكريمة قراءتان متواترتان، حيث قرأ رويس، وأبو عمرو، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف العاشر﴿فسيؤتيه﴾ بياء الغيبة، والباقون ﴿فسنؤتيه﴾ بنون العظمة[53].

قراءة النون فيها التفات من الغيبة إلى الخطاب، وأما قراءة الياء فقد جاءت على نسق الكلام؛ لأن قبله﴿ بما عاهد عليه الله ﴾.

5– قوله سبحانه ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾ [سبأ: 19].

اختلف القراء في ﴿ربنا باعد﴾ فقرأ يعقوب برفع الباء من ﴿ربنا﴾ وفتح العين والدال وألف ما قبل العين من ﴿باعد﴾ وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام بنصب الباء وكسر العين مشددة من غير ألف مع إسكان الدال، وقرأ الباقون كذلك إلا أنهم بالألف والتخفيف (54).

فالقراءات في هذا الحرف ثلاثة:

- ﴿ربُّنا بَاعَد﴾ يعقوب الحضرمي.
- ﴿ ربَّنا بَعِّد﴾ ابن كثير وأبو عمرو وهشام.
- ﴿ ربَّنا باعِد﴾ الباقون.

فقد تنوعت القراءات في هذه الآية بين الخبر والإنشاء، فقراءة من نصب ﴿ ربنا﴾ هي منصوبة على النداء، ومن كسر العين مشددة بدون ألف هي دعاء، وكذلك من ترك التشديد وأثبت ألفا بعد الباء، وفتح العين.

فقراءة الأمر أو الدعاء، تعكس شدة البطر والجرأة من هؤلاء الأقوام على الله تعالى، حيث يطلبون منه المباعدة بين أسفارهم، حتى يتميز الأغنياء بركوبهم عن الفقراء الذين لا يملكون خيلا ولا بغالا ولا حميرا تستطيع أن تتحمل السفر البعيد.

قال الإمام الطبري: "أهل سبأ قالوا: يا ربنا باعدْ بين أسفارنا؛ فاجعل بيننا وبين الشأم فلوات ومفاوز، لنركب فيها الرواحل، ونتزود معنا فيها الأزواد، وهذا من الدلالة على بطر القوم نعمة الله عليهم وإحسانه إليهم، وجهلهم بمقدار العافية، ولقد عجل لهم ربهم الإجابة، كما عجل للقائلين ﴿إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ أعطاهم ما رغبوا إليه فيه وطلبوا من المسألة" (55).

وأما قراءة يعقوب الحضرمي ﴿ربُّنا باعَد بين أسفارنا﴾ بضم الباء من ﴿ ربنا﴾ وبألف بعد الباء وفتح العين من ﴿باعد﴾ فهي جملة خبرية، تأتي لتكشف عن استجابة

الله تعالى لدعواهم بالمباعدة بين أسفارهم، فهو خبر على أنه شكوى منهم، وتذمر لبعد سفرهم بعد أن أجاب الله دعواهم [56].

وهكذا تتنوع المعاني البلاغية بتنوع القراءات القرآنية، بحيث تكاثفت في تصوير ما وقع من أهل سبأ ولهم.

6- قوله سبحانه: ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ (62) أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ﴾. ص:62

في ﴿أتخذناهم﴾ قراءتان متواترتان، حيث قرأ البصريان وحمزة والكسائي وخلف بوصل همز﴿اتخذناهم﴾ على الخبر، والابتداء بكسر الهمزة.

وقرأ الباقون بقطع الهمزة مفتوحة على الاستفهام [57].

فعلى قراءة حذف همزة الاستفهام، تكون الجملة المعادلة لـ ﴿أم﴾ محذوفة والمعنى: أتفقدونهم أم زاغت عنهم الأبصار؟

وقوى أبو عبيدة هذه القراءة حيث قال:" وبهذه القراءة نقول من وجهين أحدهما: أن الاستفهام متقدم في قوله ﴿ما لنا لا نرى رجالا﴾.

والوجه الآخر: أن المشركين لم يشكوا أنهم اتخذوا المسلمين في الدنيا سخريا، فكيف يستفهمون عن شيء علموه؟!

وأما قراءة الاستفهام، فتتقوى بوجود أم المعادلة بعدها ألا ترى أنه قال﴿ أم زاغت﴾ فعودلت بـ﴿أم﴾ لأنها على لفظ الاستفهام، وإن لم يكن استفهاما في المعنى[58].

ولا يبعد أن تكون القراءتان بمعنى واحد؛ لأن قراءة ترك همزة الاستفهام، هي من قبيل طرح هذه الألف لدلالة قوله ﴿أم زاغت عنهم الأبصار﴾ عليها، وهذا كثير في كلام العرب، بل وحتى في لهجتنا التي نستخدمها اليوم.

يقول مكي معللا هذه القراءة: " وحجة من وصل أنه استغنى عن الألف بما دل عليه الكلام، من التقرير والتوبيخ، وبدلالة ﴿ أم ﴾ بعده على الألف "[59].

الخاتمة:

بتوفيق من الله سبحانه، حاولت أن أناقش في هذه الدراسة قضايا مهمة تتعلق بكتاب الله وقراءاته المتواترة، من حيث تنوع الدلالات اللغوية على مختلف أنواعها بين القراءات القرآنية، ذلك أن القرآن الكريم نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم والعربُ كانوا وقتئذ مختلفي اللهجات، متنوعي اللغات، فأنزل الله تبارك وتعالى القرآن على سبعة أحرف، تيسيرا على الأمة، فكانت الإباحة من الله عز وجل لكل قبيلة أن تقرأ بلغتها، وما درجت عليه، ولو أن كل فريق من هؤلاء أمر أن يزول عن لغته، وما جرى عليه اعتياده طفلا وناشئا وكهلا لاشتد ذلك عليه، وعظمت المحنة فيه، فأراد الله برحمته ولطفه أن يجعل لهم متسعا في اللغات، ومتصرفا في الحركات. ومن مقتضى التيسير ورفع الحرج أن يكون هناك قراءات مختلفة، تناسب اختلاف لهجات العرب، وهذه القراءات كلّها والأوجه بأسرها من اللغات هي التي أنزل القرآن عليها، وقرأ بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأقرأ بها وأباح الله تعالى لنبيّه القراءة بجميعها، وصوّب الرسول صلى الله عليه وسلم من قرأ بها.

ومن أبرز النتائج التي توصلت إليها:

1- التأكيد على ما ذهب إليه علماؤنا من أن مجموع القراءتين المتواترتين قد يكون دالا على معنيين في لفظ واحد متلاقيين غير متضادين، وقد يكون اختلاف القراءتين مؤديا إلى بيان حكم بقراءة، وبيان حكم آخر متمم له بقراءة أخرى، فتستفاد الأحكام في أوجز تعبير، وذلك من الإيجاز المعجز، الذي لا يوجد في كلام الناس، ولكنه في كلام خالق الناس.

2- تعدد القراءات القرآنية في الآية الواحدة، يقوم مقام تعدد كلمات القرآن الكريم، وهذا من إعجاز كلام الله رب العالمين، ومما انفرد به النص الكريم، ولا يستطيعه لغوي، أو بياني في تصوير خيال.

3-الاختلافات في القراءة القرآنية على كثرتها لا تؤدي إلى تناقض، ومعنى هذا أن

القرآن معجز إذا قرئ بهذه القراءة، ومعجز أيضا إذا قرئ بالقراءة الثانية، ومعجز كذلك إذا قرئ بالقراءة الثالثة، وهلم جرا ومن هنا تتعدد المعجزات بتعدد تلك الوجوه والحروف.

وختاما هذا آخر ما يسر الله سبحانه لي أن أحبره في هذه الدراسة، فالله الكريم أسأل أن يكتب لي السداد والرشاد، وأن يلهمني الإخلاص في القول والعمل، وصلى الله وسلم وبارك على النبي الحبيب، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وأتباعه إلى يوم الدين.

الهوامش:

(1) ينظر: النشر في القراءات العشر 2/ 402، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، ص 477.

(2) ينظر: الحجة في القراءات السبع، ص 305.

(3) ينظر: النشر في القراءات العشر 2/ 414.

(4) ينظر: 378/2.

(5) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، ص 333.

(6) الكشف لمكي بن أبي طالب القيسي 12/2 ، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، ص 333.

(7) ينظر: النشر في القراءات العشر.2/ 424.

(8) ينظر: الكشف 410/2.

(9) ينظر: النشر في القراءات العشر 2/ 294 .

(10) ينظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، ص 496.

(11) حجة القراءات، ص 652

(12) السبعة في القراءات، ص 230.

(13) ينظر: حجة القراءات، ص196.

(14) ينظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، ص 331.

(15) الكشف 123/2.

(16) النشر في القراءات العشر 360/2.

(17) ينظر: الكشاف 4/ 154، والدر المصون 154/3، والهادي إلى شرح طيبة النشر45/3.

(18) ينظر: الحجة في القراءات السبع، ص 244.

(19) ينظر: حجة القراءات، ص 457.

(20) ينظر: الكشف 205/2.

(21) ينظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، ص 376.

(22) ينظر: حجة القراءات، ص 438.

(23) ينظر: السابق. والكشف لمكي 225/2 وإتحاف فضلاء البشر للبنا 473/1

(24) ينظر: لسان العرب لمؤلفه / محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري 136/9

(25) ينظر: حجة القراءات لابن زنجلة 609/1 و الكشف لمكي 225/2.

(26) ينظر: الحجة في القراءات السبع، ص 302.

(27) ينظر: تحبير التيسير في القراءات العشر، ص 316، وَالنشر في القراءات العشر2/ 270.

(28) ينظر: تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1/ 390)

(29) ينظر: نفسه 2/ 238 .

(30) ينظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، ص 231.

(31) ينظر: لسان العرب 11/ 502 .

(32) ينظر: ابن الجزري النشر في القراءات العشر، مصدر سابق 2/ 315.

(33) ابن عطية، المحرر الوجيز 3/ 303.

(34) الدر المصون في علم الكتاب المكنون، ص 223.

(35) تفسير الطبري 14/ 439.

(36) ينظر: النشر في القراءات العشر 2/ 288.

(37) ينظر: إعراب القرآن وبيانه. المؤلف : محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش.

(38) ينظر: الكشف 414/1.

(39) ينظر: الجامع لأحكام القرآن : 223/6.

(40) ينظر: الكشف 414/1

(41) النشر في القراءات العشر 1/ 421.

(42) ينظر: الكشف 124/2.

(43) الكشاف. 3/ 213.

(44) الموضح في وجوه القراءات وعللها 687/2.

(45) الكشف 125/2.

(46) ينظر: النشر في القراءات العشر 2/ 316.

(47) ينظر: الهادي إلى شرح طيبة النشر في القراءات العشر 2/ 28.

(48) ينظر: الحجة في القراءات السبع، ص 179.

(49) الكشاف 2/ 473.

(50) ينظر: التحرير والتنوير 10/ 202.

(51) القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية، ص 35.

(52) ينظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، ص 368.

(53) ينظر: النشر في القراءات العشر 2/ 415.

(54) ابن الباذش، أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري الغرناطي، أبو جعفر. الإقناع في القراءات السبع، ص 288، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، ص 459.

(55) جامع البيان 20/ 389.

(56) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل 3/ 577.

(57) ينظر: النشر في القراءات العشر 2/ 402.

(58) ينظر: حجة القراءات، ص 617.

(59) الكشف 134/2.

المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم، برواية قالون عن نافع المدني.
2. ابن الباذش أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري الغرناطي، أبو جعفر الإقناع في القراءات السبع، الناشر: دار الصحابة للتراث، تاريخ الطبع : بلا.
3. البغدادي، أحمد بن موسى، ابن مجاهد (2010): كتاب السبعة في القراءات، تحقيق الدكتور/ شوقي ضيف، ط 4، دار المعارف، القاهرة، مصر.
4. البنا شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي، (1987): إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربع عشر، حققه وقدم له الدكتور/ شعبان محمد إسماعيل، عالم الكتب، ط 1.
5. ابن الجزري محمد بن محمد بن محمد (2010): النشر في القراءات العشر، قدم له صاحب الفضيلة الأستاذ: علي محمد الضباع، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
6. ابن الجزري، محمد بن محمد بن محمد بن يوسف(1421هـ – 2000م): تحبير التيسير في القراءات العشر، المحقق: د. أحمد محمد مفلح القضاة، الناشر: دار الفرقان – الأردن / عمان، ط 1.
7. ابن الجزري، محمد بن محمد بن محمد (1997): شرح طيبة النشر في القراءات العشر، ضبط وتعليق الشيخ/ أنس أبو مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1.
8. ابن الجزري، محمد بن محمد بن محمد(1932): غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق/ برجسترار، الناشر/ مكتبة الخانجي، القاهرة.

9. الحسين، ابن خالويه أبو عبد الله بن أحمد (1401هـ): الحجة في القراءات السبع، الناشر/ دار الشروق – بيروت، ط 4، تحقيق: د عبد العال سالم مكرم.
10. الحلبي، أبو الحسن طاهر المقرئ، ابن غلبون (1412هـ 1991): التذكرة في القراءات الثمان، دراسة وتحقيق: أيمن رشدي سويد، الطبعة الأولى، جدة، المملكة العربية السعودية.
11. الحلبي، السمين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، (1987): الدر المصون في علم الكتاب المكنون، تحقيق الدكتور/ احمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط 1.
12. أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، (1998): ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق: د. رجب عثمان محمد، ومراجعة رمضان عبد التواب، ط 1، مكتبة الخانجي بالقاهرة.
13. ابن خالويه، الحسين بن أحمد أبو عبد الله، 1401هـ ، الحجة في القراءات السبع، المحقق: عبد العال سالم مكرم، الناشر: دار الشروق – بيروت، ط 4.
14. الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمرو، (2008): الأحرف السبعة للقرآن، تحقيق: مجدي السيد وجمال الدين شرف، الناشر: دار الصحابة للتراث بطنطا.
15. الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار النشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي.
16. ابن زنجلة، عبد الرحمن بن محمد أبو زرعة، (1402– 1982): حجة القراءات، تحقيق: سعيد الأفغاني، دار النشر مؤسسة الرسالة – بيروت، ط 2.

17. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، (1951): الإتقان في علوم القرآن، ط 3، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر.
18. الطاهر، محمد الطاهر بن محمد بن محمد التونسي، ابن عاشور، التحرير والتنوير، الناشر: مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط 1.
19. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب أبو جعفر، (1420هـ-2000): جامع البيان في تأويل القرآن، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط 1.
20. ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، 1422 هـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط 1.
21. الفارسي، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار أبو علي، الحجة في علل القراءات السبع، المحقق: بدر الدين قهوجي –بشير جويجابي، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح –أحمد يوسف الدقاق، ط 2، (1413 هـ –1993م)، دار المأمون للتراث دمشق – بيروت.
22. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (1384هـ- 1964) الناشر: دار الكتب، القاهرة، ط 2.
23. محيسن محمد سالم الهادي إلى شرح طيبة النشر في القراءات العشر. (2009): دار البيان العربي، القاهرة، مصر، ط 1.